أسرار البيان في ثنايا القرآن : دراسة في فنِّ التعبير القرآني

د.طالب خميس الوادي

ملخص البحث :

جاء البحث ليُبيّن أن الكتاب العزيز وُضِعَ وفق نظام لغويّ دقيق لا يزاد عليه بكلمة أو حرف أو حركة –الضمة والكسرة والفتحة- ،ولا ينقص من ذلك شيء إلَّا بحكمة تقتضيها معاني النص القرآني أو السورة بشكل عام . والقرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو معصوم ومحفوظ ؛لأنه منزَّل من لدن حكيم خبير سبحانه. والقرآن سالم من أي عوج لفظيّ أو معنويّ ومهيمِن على كل الكتب السماوية وقائم في كل زمان ومكان ينطق بالحق.كما استطاع البحث أن يجيب عن أسئلة تشغل فكر قراء القرآن الكريم في مجال اللغة والبيان. وسعينا جاهدين لبيان قسم من مواطن الإعجاز اللغوي في هذه المواضع من القرآن المتمثلة بفنون التعبير القرآني وعلم المعاني كالإظهار أو الإضمار،والحذف أو الـإثبات-كما في المبحث الثالث- ،والتقديم أو التأخير –وهذا ما تناولناه بالدراسة في المبحث الثاني والسادس - والإيجاز أو الإطناب ،و التكرار –وتحدثنا عنه في المبحث السادس- ،والتوكيد أو النفي- تناولناه في ثنايا البحث. وجاء أيضًا ردًا على بعض الحاقدين والمتحاملين على الإسلام وأهله مِمَّن يدعي أن القرآن الكريم ليس معصومًا من الخطأ والزلل (١) –وكان ذلك في المبحث الخامس تناولت الدراسة مسائل في بيان القرآن الكريم لم نسبق إليها من قبل –بحدود علمنا. وننبه بشدة –وللأمانة العلمية – أنّنيَ تجنبت في بحثي هذا كل مسألة بيانية تناولها شيخ من شيوخ اللغة والبيان في مؤلفاته في هذا الاختصاص –البيان القرآنيّ- ومعاذ الله تعالى أن نفعل ذلك. والحمد لله سبحانه أولًا وأخرًا وصَلّى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

The Secrets of Declaration in the Qur'an Folds
A study in the Quranic expression Art

Talib Khamis Al Wadi

Abstract

The significance of the present paper arises from the statement that the Holy Qur'an is designed by Allah in a very precise linguistic system with intended meanings. It is worthy to say that the Holy Qur'an is completely free from any mistake because it is descended from Allah the sage and the expert. The Holy Qur'an is also free from any defect or fault and it is suitable for anytime or place. The paper answers different linguistic questions that are concerned by the Qur'an readers. The paper also shows the miraculousness of the Qur'an in semantic level by using the art of speech like showing, implying, deleting, adding, etc. Also, it is worthy to say that the present paper comes as a reply for those who are spiteful against Islam and Muslims. Due to the best knowledge of the researcher, there is no other scientific paper tackled this issue. Finally, thanks for Allah and May the blessings and peace of Allah be upon Prophet Muhammad.

أسرار البيان في ثنايا القرآن

أ.م.د. طالب خميس الوادي
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية / كلية التربية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده ،ونستعينه ،ونستهديه ،ونستغفره ،ونتوب إليه، ونؤمن به وعليه نتوكل وحده لا شريك له الذي بنعمته تتم الصالحات وتصبح النفس التي تحب الشهوات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكرات، وتسهر الليالي وتكد وتبذل الجهود من أجل فعل الخيرات . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده، ورسوله . ،والصلاة والسلام على رسول الله صاحب المعجزات، وآله وصحبه ومن ولاه أجمعين.

أما بعد؛ فإنَّ خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله سيد العرب، والعجم، وأشرف من يمشي على قدم خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين وأفضل البلغاء والمتكلمين والعارفين، وعلى آله وصحبه وسلم.

إنَّ بحثي هذا الموسوم [أسرار البيان في ثنايا القرآن/ دراسة في فن التعبير القرآني] الذي تناولت فيه اللمسات البيانية في مواضع عدة من سور القرآن الكريم والذي أعده خطوة متواضعة في فن التعبير القرآني ، والدراسات البلاغية البيانية في القرآن الكريم؛ للكشف عن أسرار سياقات النظم وبيان عجائب وسائل التعبير وبديع أساليب التركيب اللغوي في كتاب الله العزيز الذي لا تنقطع عجائبه،ولا تنتهي معجزاته، ولا يدرك كنهه العلماء والعارفون إلَّا ما يسره الله سبحانه برحمته. وإني لأرجو بهذا العمل نيل رضا ربي الله سبحانه، وأسأله جلَّ علاه أن ينفع به من يقرأه ،من أمة المسلمين والناس أجمعين.

وإليك جملة من نصوص الكتاب العزيز التي تناولتها في هذه الدراسة ؛ لأبين طرفًا مما فيها من أسرار تعبيرية،وأنوار بيانية، ولمسات فنية لعل فيها نفعًا لدارسي القرآن الكريم،

ومحبي اللغة العربية، ولتكن خطوة جادة في بيان شيء من أسرار هذا السفر العظيم من كتاب الله الخالد. وعلى هذا فالأعجاز القرآني متعدد النواحي، متشعب الاتجاهات، ولا يزال أصحاب الاختصاصات العلمية في كل منحي الحياة يكتشفون من مظاهر إعجازه الشيء الكثير، فلا أكون مبالغًا أفول إذن إنَّ الإعجاز القرآني لا يمكن لشخص معين أو ثلة من العلماء أن يقوموا بأعباء هذه المسؤولية العظيمة، وأنَّى لهم ذلك، فالأمر أكبر من ذلك بكثير، بل هو مسؤولية علماء الأمة جميعًا في الحاضر والمستقبل.

وقد تضمن البحث مقدمة، وخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وفهرست بهوامش البحث وآخر بمصادره وستة مباحث هي :

المبحث الأول : [سياق النص يحدد معنى الفعل]

المبحث الثاني : [الأثر البياني في تقديم لفظة [رغدًا] وتأخيرها في سورة البقرة]

المبحث الثالث : [روعة البيان في ذكر لفظة (رغدًا) في سورة البقرة وتأخيرها في الأعراف]

المبحث الرابع : [الدلالة البيانية للفظة (زوج) في القرآن الكريم]

المبحث الخامس : [صيغ جمع الكلمة تناسب معاني سياق النص]

المبحث السادس:[سر البيان في تقديم (هارون) على (موسى) في سورة طه]

وهذا البحث يعد الخطوة الثالثة في الكتابة والبحث في ميدان الدراسات القرآنية إذ سبق لي أن نشرت بحثين :

أحدهما: [أنوار البيان في الجزء الأول من القرآن/ دراسة في فن التعبير القرآني] نُشِرَ في مجلة كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد،

والآخر: [أثر السياق الدلالي في معاني ألفاظ سورة الكهف / دراسة دلالية نحوية صرفية] نشر في مجلة الدراسات التربوية والعلمية / كلية التربية الجامعة العراقية.

لقد كلفني هذا البحث عمل ستة أشهر أو يزيد متواصلة بأيَّامها ولياليها، والله أعلم كم بذلت فيه من الجهد والمثابرة والعمل الدؤوب الممزوج بالسهر والمشقة التي ولَّدها التفكير والتدبر والتأمل في المسائل وتقليبها وإنعام النظر بدقائقها، ولا أدعي الكمال في هذا العمل؛ لأنَّ الكمال لله سبحانه وحده فإن أصبت وهذا ما أرجوه فهو بفضل الله تعالى ومَنِّه وكرمه، وإن قصرت في جانب معين من هذا العمل فهو مِنِّي والله تعالى المستعان على فعل الخير وإنجازه ، وحسبي أني عملتُ ما يرضي الضمير. والحمد لله سبحانه أولًا وأخِرًا وصَلّى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

المبحث الأول : سياق النص يحدد معنى الفعل

قال الله تعالى:﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) ﴾[البقرة]

وقال الله تعالى:﴿ وإذ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) ﴾[البقرة]

وقال الله تعالى:﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾[الأعراف]٠

قال الله سبحانه:{وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ } برفع [زوج] ولم يقل:{يا آدم وهبتُكَ وزوجَك الجنَّة} بنصب [زوج] لماذا ؟

الجواب: هو أنَّ الله تعالى قدَّر في علم الغيب -في اللوح المحفوظ-أن يكون آدم -عليه السلام- خليفته في الأرض و﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) ﴾[الأعراف]. فخلقه من ترابها ثم نفخ فيه من روحه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ

وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾[الحج/ ٥]، ثم أسكنه الجنَّة وفضَّله على سائر خلقه بالعلم الذي وهبه الله سبحانه له فكانت له القدرة على التعلم والحفظ تفوق قدرة الملائكة في ذلك؛ فأسجد له الملائكة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) ﴾[البقرة] لم يكن سجود الملائكة لآدم سجود عبادة بل كان سجود احترام كسجود أبوي يوسف وإخوته ليوسف –عليهم السلام –لكنَّ إبليس عصا وتكبر وكفر ؛لأنَّه ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [الكهف/ ٥٠] . إنَّ الله سبحانه أمر آدم –عليه السلام – بالسكن في الجنة ولم يهبها له ولذريته ولم يورثها لهم لذلك لَمَّا عصا ربَّه أخرجه منها وهذا الأمر –أمر معصيته وتوبته وخروجه من الجنَّة–معلوم عند الله عزَّ وجل ومكتوب في اللوح المحفوظ قبل خلقِ آدم –عليه السلام – ولو أنَّ الله سبحانه قدَّر برحمته وكرمه أن يهب لآدم –عليه السلام–وذريته الجنة منذ ذلك الحين أو أورثهم إيَّاها لكان حقًا عليه تعالى أن لا يخرجهم منها كما هو الحال في الآخرة لقوله تعالى :﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣) ﴾[مريم] ،وقوله تعالى:﴿ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ﴾[الحجر].

ونحن بنو آدم أحدُنا يُسكِنُ شخصًا ما داره بأجر أو بدون أجر-لغرض الحراسة أو ابتغاء الثواب- فلصاحب الدار الحق أن يخرجه منها متى شاء بعذر أو بدونه ولو كان قد باعها أو وهبها أو أورثها له لما كان له الحق أن يخرجه منها فكيف إذا كان صاحب الدار-الجنة- هو مالك الملك العدل الحق خالقه-عزَّ وجل- والمنعم عليه ثم عصاه بعد ذلك كلِّه ؛لهذا كان حقًّا على آدم -عليه السلام- أن يطلب من ربِّه التوبة والمغفرة بعد أن أخرجه منها بغية دخولها بعد الموت إن شاء الله تعالى. ومن كل ما تقدم نرى أن القرآن الكريم اسنعمل الألفاظ في سياق التركيب بما يناسب المعاني الواردة في النص.

السؤال لِمَ صحَّ قوله تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ } برفع [زوجُ] ولم يصح القول:{وَيَا آدَمُ اسْكُنْ وَزَوْجَكَ الْجَنَّةَ } بنصب [زوجُ] ؟

الجواب : الواو في النص الأول عاطفة تفيد التشريك أمَّا الواو في النص الثاني فهي واو المعيّة وبما أنَّ أُمَّنا حوَّاء -عليها السلام- كانت تشارك أَبانا آدم -عليه السلام- في فعل السكن وفعل الأكل - من أثمار الجنة[وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا]- وفعل المعصية - الأكل من الشجرة التي مُنِعَا منها[وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ] ثم أكلا منها بسبب وسوسة الشيطان لهما﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) ﴾ [البقرة]

لكن فعل التوبة لم يشركها فيه-﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) ﴾[البقرة]- والسبب في ذلك :هو أنَّ آدم -عليه السلام- خُصَّ بالخطاب دون السيدة حواء ؛لأنَّه نبيٌّ ورسول فهو أولى بالتلقي من ربِّه لكنَّها -أُمَّنا حواء- مشمولة بالعفو الإلهي وقبول التوبة.

وهناك أمر آخر هو أنَّه كان لأُمِّنا حواء دور في اتخاذ القرار بالقيام في هذه الأفعال ليس

ذلك فحسب بل هي التي بدأت بالأكل من الشجرة ورغَّبَتْ أبانا آدم -عليه السلام- في ذلك(١)،ولو كانت تصاحبه وليس لها علاقة بذلك لكان النصب في (زوجَك) على أنه مفعول معه أولى من الرفع على أنه معطوف على الفاعل { ولهذا قال بعض المحققين: لا يصح إيراد- زوجَك- بدون العطف بأن يكون منصوبا على أنه مفعول معه}(٢)٠

المبحث الثاني : الأثر البياني في تقديم لفظة رغدًا وتأخيرها في سورة البقرة

في الآية { وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا } [البقرة(٣٥)] قدَّم (رغدًا) على{ حَيْثُ شِئْتُما} في حين تجد في الآية {فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا } [البقرة(٥٨)] أخَّر (رغدًا) عن {حَيْثُ شِئْتُم} ما علة ذلك ؟

الجواب : في الآية الأولى: تجد أنَّ الذي يدخل الجنة -برحمة الله تعالى- يأكل من أثمار أشجار الجنَّة المتشابهة في شكلها المتنوعة في طعمها ونكهتها التي أعدَّها الله تعالى لعباده المؤمنين المحسنين ،ولا يبذل جهدًا في زراعتها كحرث الأرض وسقيها وغرسها ومتابعتها-كالنباتات الطبيعية في الدنيا- وجني أثمارها؛ لأنَّها ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) ﴾[الإنسان] فيأكل منها حيث شاء أي : أين يكون من الجنة ومتى شاء وكيفما يريد فالأكل لا يتلف ،ولا ينضب . والمؤمن في الجنة غنيٌّ بفضل ربِّه عن الحمل والنقل والبيع والشراء فيأكل منها أكلًا رغدًا واسعًا رافهًا دائمًا كثيرًا غير ممنون هنيئًا مريئًا (٣) .

فالأكل الرغد متوافر في كل مكان وزمان من الجنة غير مرتبط بجهد الإنسان وتفكيره كالزراعة والحرث والسقي والجني والحصاد ،ومشيئته كالنقل والبيع والشراء ،ولذا قدَّم [رغدًا] على [حيث شئتما] كي يتضمن النص على كل هذه المعاني التي ذكرناها.

أمَّا في الآية الثانية فقال سبحانه: {فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا } الأكل الرغد الوافر الواسع هنا في جنة الدنيا التي يبذل الإنسان في الحصول على أثمارها جهدًا وسهرًا وتعبًا فيحرث الأرض ويغرسها ويسقيها ويجني ثمارها لذا أخَّر (رغدًا) وقدَّم (حَيْثُ شِئْتُمْ) ؛ لأنَّ سَعَةَ التصرف في أثمار أشجار جنة الدنيا ومحاصيلها كالزراعة والحرث والسقي والجني والحصاد والحمل والنقل والبيع والشراء أكثر من سعة التصرف في أثمار جنة الخلد ومحاصيلها حيث لا يجد الإنسان المؤمن حاجة إلى الحمل والنقل والبيع والشراء في الجنة ؛لأنَّ الله سبحانه أغناه عن فعل ذلك بل هو في عيش رغيد بسعة بال وطيب حال وهناءة ورفاه (٤). إنَّ (رَغَدًا) أبديًّا في جنة الخلد التي أعدَّها الله تعالى لعباده المتقين الصالحين متحقق دون مشيئة الإنسان وجهده ؛ لذا قُدِّم في الكلام على (حيث شئتما) في حين تجد أنَّ (رَغَدًا) زائلًا في جنة الدنيا متحقق بفضل الله سبحانه أيضًا لكن كان للإنسان القدرة والإرادة في إعدادها وزراعتها والتصرف بالإنتاج الزراعي فيها؛ لذلك أُخِّر (رَغَدًا)وقُدِّم الظرف وما أُضيف إليه (حَيْثُ شِئْتُمْ). والأمر الأخر هو أنَّ أكلًا رغدًا في جنة الخلد[حيث شئتما] يكون بلا حساب وليس عليه زكاة ولا صدقة ولا توجد عبادة تجازي نعيم الجنة في حين يكون الأكل الرغد في جنة الدنيا بحساب وعليه زكاة وصدقة وشكر؛ لذلك ترى أن القرآن قدَّم (رغدًا) في الآية الأولى وأخَّره في الثانية. فتجد أنَّ التقديم والتأخير لكلمة (رَغَدًا) في الآيتين لأمر يتطلبه معنى سياق النص في الموضعين المذكورين لا لأمر تتطلبه الفاصلة القرآنية فحسب كما قال الشيخ العلامة أبو الثناء الآلوسي في تفسيره [روح المعاني] {ويحتمل أن يكون وعدا لهم بكثرة المحصولات وعدم الغلاء، وأخَّر هذا المنصوب هنا مع تقديمه في آية آدم عليه السلام قبل لمناسبة الفاصلة }(٥) بل يجب أن تكون الفاصلة القرآنية توائم المعنى وتنسجم معه وتأتي ضمن النص القرآني قصد تزيين سياق التركيب بما يخدم المعنى وليس العكس صحيحًا .

المبحث الثالث:[روعة البيان في ذكر لفظة (رغدًا) في سورة البقرة وحذفها في الأعراف].

السؤال : ما علة حذف كلمة [رغدًا]في الآية ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾[الأعراف] في حين أثبتها في الآية ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) ﴾[البقرة] ؟

الجواب: أنَّ الحذف والإثبات لكلمة [رغدًا]في الآيتين يعود لطبيعة سياق التركيب اللغوي في كلتا الآيتين فيكون المعنى هو الفاصل وليس الحذف لوجود ما يدل عليه في الكلام المتقدم (٦). ويرى صاحب (اللباب في علوم الكتاب) أبو حفص سراج الدين الدمشقيّ أنَّه { قد تقدَّم الكلامُ على هذه الآيةِ في سورة البقرةِ، بقي الكلامُ هنا على حَرْفٍ واحد وهو قوله تعالى في سُورةِ البقرة: [وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً] [البقرة: ٣٥] بالواو، وقال ههنا بالفَاءِ، والسَّبَبُ فيه من وجهين:

الأول: أنَّ الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التَّعْقِيبِ. فالمَفْهُوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو، ولا مُنَافَاةَ بين النَّوْعِ والجِنْسِ، ففي سورة البقرة ذكر الجِنْسَ، وفي سُورةِ الأعْرَافِ ذكر النَّوْعَ.

الثاني: وقال في البقرة: «رغداً» وهو ههنا محذوف لدلالة الكلام عليه.}(٧) ،وهذا ما ذهب إليه أبو الثناء الآلوسي في (روح المعاني) بقوله: { ولم يذكر رَغَداً [البقرة: ٣٥، ٥٨] هنا ثقة بما ذكر هناك.}(٨) ،ومنهم مَن علل الحذف بسبب[تقدم ذكر هذه القصة، والفائدة في إعادتها أن القرآن نزل في بضع وعشرين سنة، والعوارض تعرض، والوفود تقدم، فكانت القصة تعاد، ليسمع من لم يسمع، استصلاحا ولطفا. لأن في إعادة قصة واحدة، في مواضع بألفاظ مختلفة، كل واحد منها في نهاية الحسن، من إعجاز القرآن.}

(٩) لكنَّ { القصة هنا أكثر إسهابا منها في السورة السابقة. ولعل من السامعين من طلب الاستزادة فاقتضت حكمة التنزيل هذا الإسهاب. أو لعلّ ذلك كان بسبب استمرار الكفار في جحودهم وعنادهم. وربما كان ذلك قرينة على صحة ترتيب نزول هذه السورة بعد سورة (ص) .

وقصد الموعظة والتمثيل والترغيب والترهيب ظاهر في الآيات وفي الآيات التي جاءت بعدها أكثر منه في السورة السابقة. ولعل ذلك متصل بالحكمة التي خمناها في الإسهاب الذي جاء في هذه السورة.}(١٠) هكذا علل المفسرون هذه المسألة .

لكن ما نراه ليس هذا فحسب بل أن الأمر يتعلق بمعاني سياق النص القرآنيّ الذي وردت فيه الآيتان ؛ لأنَّ المعاني تصاغ على أساسها الجمل وتُركَّب العبارات من أجلها و تُبنى النصوص اللغويَّة على ضوئها والتي تُزيَّنُ بالأساليب البلاغية والبيانيَّة والأنماط البديعية ليسهل على المتلقي تذوق تلك المعاني التي أراد التركيب اللغوي أو النص الأدبي أن يعبر عنها وإيصالها إلى السامع والقارئ بأقرب الوسائل وأوضح الأساليب. أنعِمْ النظر في النص القرآني الذي جاءت فيه الآية :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ

عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) ﴾[الأعراف].ستجد بما لا يقبل الشك أنَّ سياق النص القرآني الذي وردت فيه الآية التي حذفت منها كلمة (رغدًا) أعلاه يختلف عن سياق النص الذي وردت فيه الآية التي ذكرت فيه كلمة (رغدًا) من وجوهعدة : ففي النص أعلاه ترى أنَّ الله تعالى يُذكِّر آدم وذريَّته بنعمه عليهم وأسجد له الملائكة إلَّا إبليس _عليه اللعنة_ أبى واستكبر وكان من الكافرين﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) ﴾ ؛ لأنَّ إبليس { رَأَى أَنَّ النَّارَ أَشْرَفُ مِنَ الطِّينِ، لِعُلُوِّهَا وَصُعُودِهَا وَخِفَّتِهَا، وَلِأَنَّهَا جَوْهَرٌ مُضِيءٌ.}(١١) وهذا قياس باطل خاطئ ليس له حظ من الصحة ،وقد ذكر القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن) عن ابْن عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ أَنَّ إِبْلِيسَ أَوَّلُ مَنْ قَاسَ{ فَأَخْطَأَ الْقِيَاسَ. فمن قاس الدين برأيه قرنه مَعَ إِبْلِيسَ. قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: وَمَا عُبِدَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ إِلَّا بِالْمَقَايِيسِ. وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ: أَخْطَأَ عَدُوُّ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ فَضَّلَ النَّارَ عَلَى الطِّينِ، وَإِنْ كَانَا فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ حَيْثُ هِيَ جَمَادٌ مَخْلُوقٌ. فَإِنَّ الطِّينَ أَفْضَلُ مِنَ النَّارِ مِنْ وُجُوهٍ أَرْبَعَةٍ: أَحَدُهَا- أَنَّ مِنْ جَوْهَرِ الطِّينِ الرَّزَانَةَ وَالسُّكُونَ، وَالْوَقَارَ وَالْأَنَاةَ، وَالْحِلْمَ، وَالْحَيَاءَ، وَالصَّبْرَ. وَذَلِكَ هُوَ الدَّاعِي لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ السَّعَادَةِ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ إِلَى التَّوْبَةِ وَالتَّوَاضُعِ وَالتَّضَرُّعِ، فَأَوْرَثَهُ الْمَغْفِرَةَ وَالِاجْتِبَاءَ وَالْهِدَايَةَ. وَمِنْ جَوْهَرِ النَّارِ الْخِفَّةُ، وَالطَّيْشُ، وَالْحِدَّةُ، وَالِارْتِفَاعُ، وَالِاضْطِرَابُ. وَذَلِكَ هُوَ الدَّاعِي

لِإِبْلِيسَ بَعْدَ الشَّقَاوَةِ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ إِلَى الِاسْتِكْبَارِ وَالْإِصْرَارِ، فأورثه الهلاك والعذاب واللعنة والشقاء، قال الْقَفَّالُ. الثَّانِي- أَنَّ الْخَبَرَ نَاطِقٌ بِأَنَّ تُرَابَ الْجَنَّةِ مِسْكٌ أَذْفَرُ، وَلَمْ يَنْطِقِ الْخَبَرُ بِأَنَّ فِي الْجَنَّةِ نَارًا وَأَنَّ فِي النَّارِ تُرَابًا. الثَّالِثُ- أَنَّ النَّارَ سَبَبُ الْعَذَابِ، وَهِيَ عَذَابُ اللَّهِ لِأَعْدَائِهِ، وَلَيْسَ التُّرَابُ سَبَبًا لِلْعَذَابِ. الرَّابِعُ- أَنَّ الطِّينَ مُسْتَغْنٍ عَنِ النَّارِ، وَالنَّارَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى الْمَكَانِ وَمَكَانُهَا التراب. قلت- ومحتمل قَوْلًا خَامِسًا وَهُوَ أَنَّ التُّرَابَ مَسْجِدٌ وَطَهُورٌ، كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ. وَالنَّارُ تَخْوِيفٌ وَعَذَابٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:[ذلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبادَهُ] «الزمر/ ١٦» «. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَتِ الطَّاعَةُ أَوْلَى بِإِبْلِيسَ مِنَ الْقِيَاسِ فَعَصَى رَبَّهُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَاسَ بِرَأْيِهِ. وَالْقِيَاسُ فِي مُخَالَفَةِ النَّصِّ مَرْدُودٌ.}(١٢)، فأخرجَ اللهُ تعالى إبليس من الجنة ،وأمهله إلى يوم البعث لكنَّ إبليس توعَّد آدمَ وذريَّته بأن يصدَّهم عن الصراط المستقيم ،ويجعلَهم جاحدين لأَنْعُم الله تعالى ويكونَ القليل منهم شاكرين﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) ﴾لكنَّ الله تعالى توعَّدهم -المتبوع والتابع- جميعًا بالطرد من رحمته والعذاب والثبور و﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) ﴾ فغرَّرَ بهم إبليس فأكلا من شجرة المعصية ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ(٢٥) ﴾ .

ولو أنعمتَ النظر في هذا النص وتدبرت معانيه ستجد أنها لا تحتمل ذكر لفظة (رغدًا) إطلاقًا ؛لأنَّها تضمنت التهديد، والوعيد، والإخراج من الجنة والهبوط إلى الأرض ، وإصرار إبليس على المعصية، والعداوة الأبدية بين إبليس وآدم والتوعد بالموت

والحساب والنار والشقاء والمكابدة في الحياة الدنيا فكيف تذكر لفظة (رغدًا) في أجواء هذا النص المشحون بمعاني السخط والعذاب والوعيد والانتقام ؟!

أما أجواء النص التي ذُكِرَت فيه لفظة (رغدًا) في آية سورة [البقرة: ٣٥] : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) ﴾ فتجد أنَّ النص قد تضمن معاني التفضيل بالعلم-تفضيل آدم (عليه السلام) على الملائكة والجن جميعًا- وذِكْر المغفرة والتوبة التي تناسب ذكر النعيم والعيش الرغيد بقوله سبحانه : [وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا] انظر كيف جاء الذكر والحذف مناسبًا لمعاني النص القرآني في الآيتين .

إنَّ التكريم والتعظيم في آية [البقرة (٣٥)] كان أكثر من آية [الأعراف (١٩)] ولا يقتصر على ذكر (رغدًا) وحذفها فحسب لكن تجده قد تعدى هذا بكثير بل تبعه تصرف عظيم في بناء التركيب اللغوي للنصين في السورتين منه:

١- في آية البقرة ذكر الجنة وضميرها فقال سبحانه:[وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا] أمَّا في آية

الأعراف فقد حذف الضمير الذي يعود على الجنة [فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَ]وهو المناسب لمقام التكريم .

٢- استعمل في آية البقرة أداة العطف (الواو) في عطف [اسكن]على[كُلَا] فقال تعالى:[وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥)] وهي تفيد الإطلاق والجنس _أي: تتضمن كل معاني أدوات العطف-في حين تجد أنَّه استعمل في آية الأعراف أداة العطف (الفاء) فقال تعالى: [وَ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩)] وهي تفيد التعقيب والترتيب وهو نوع من أنواع العطف فالواو أوسع معنًى من الفاء لذلك جيء بالواو في سورة البقرة للدلالة على السعة في الاختيار وهو المناسب لمقام التفضيل (١٣).

٣- وجود الظرف [حيث شئتما] في آية البقرة يحتمل الجمع بين السكن والأكل والمعنى (اسكنا حيث شئتما وكلا حيث شئتما) ،والأمر ليس كذلك في سورة الأعراف فالتعبير لا يحتمل إلَّا أن يكون للأكل [فكلا من حيث شئتما] ولا يصح تعليقه بالسكن ؛ لأنَّ الفاء أفادت التعقيب ولم تفد التشريك بين فعلي السكن والأكل لذا فالمشيئة والتخيير في البقرة أوسع من الأعراف وهو المناسب للتكريم والتفضيل في البقرة - والله تعالى أعلم

٤- تجد أنَّه زاد في الأولى تعظيمًا بقوله:[وقلنا يا آدم] بخلاف آية سورة الأعراف فإنَّه حذف منها [وقلنا] بل قال:[وَيَا آدَمُ]؛ لأنَّ المقامين مختلفان.

المبحث الرابع : الدلالة البيانية للفظة (زوج) في القرآن الكريم

ورد في القرآن الكريم لفظتان:(زوج) و(امرأة) وجاء في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكلام العرب لفظة (زوجة) وكلها بمعنى : الأنثى حليلة الرجل وفق

عقد زواج معين مقبول عند القوم ،لكن كيف فرَّق بينهما الاستعمال القرآني من حيث المعنى الدقيق في نصوص التنزيل ؟

الجواب :وقال الطبري: { يقال لامرأة الرجل: زَوْجُه وزَوْجتُه، والزوجة بالهاء أكثر في كلام العرب منها بغير الهاء. والزوج بغير الهاء يقال إنه لغة لأزْد شَنوءة. فأما الزوج الذي لا اختلاف فيه بين العرب، فهو زوجُ المرأة } (١٤) لكن ابن القيم لا يوافقه في ذلك بقوله :{ وأما الأزواج فجمع زوج. وقد يقال الزوجة. والأول أفصح. وبها جاء القرآن.}(١٥)وجاءت لفظة (الزوجة) في أحاديث الرسول الكريم –صلَّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم–فقد {حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « سَعَادَةٌ لِابْنِ آدَمَ ثَلَاثٌ، وَشِقْوَةٌ لِابْنِ آدَمَ ثَلَاثٌ، فَمِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ: الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَرْكَبُ الصَّالِحُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، أَوْ قَالَ: وَالْمَسْكَنُ الصَّالِحُ، وَشِقْوَةٌ لِابْنِ آدَمَ ثَلَاثٌ: الْمَسْكَنُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ «}(١٦).

وجاءت في كلام العرب نحو ما روي عن ابن عباس –رضي الله تعالى عنه – أنَّه قال في حق عائشة – رضي الله تعالى عنها :{ «إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة» .}(١٧) و{ «ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الزَّوْجَةَ مِنْ أَزْوَاجِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَهَا سَبْعُونَ حُلَّةً فِي أَرَقٍّ مِنْ شَفِّكُمْ هَذَا، يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ»}(١٨)، والحلة : –بفتح الخاء وضمها وفتحها وتشديد اللام– أتت في كلام العرب بمعنى :الصفة أو الأخوة أو الصداقة.

وقال الشاعر الفرزدق:

وإن الــذي يبغي ليفسد زوجتي كساع إلى أسد الشّرى يستبينها(١٩)

تُطْلَقُ لفظة (زوج) في القرآن الكريم على الرجل والمرأة فجاءت بمعنى الرجل –

الزوج المؤمن -كما في قوله تعالى:﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) ﴾[المجادلة]. وجاءت بمعنى المرأة -الزوجة المؤمنة الصالحة - نحو قوله تعالى :﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠) ﴾[الأنبياء]. وجاءت لفظة {زوج} بمعنى زوجة آدم -عليه السلام- حواء،كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾[النساء]، وأيضًا في قوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) ﴾[الأعراف] أراد ب{زَوْجَهَا} حواءَ زوجة آدم -عليه السلام- كما ذكر ابن أبي حاتم أنَّه {خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا قَالَ: خَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ آدَمَ مِنْ ضِلْعِ الْخُلْفِ وَهُوَ مِنْ أَسْفَلِ الأَضْلاعِ وَرُوِيَ عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ وَقَتَادَةَ نَحْوُ ذَلِكَ.٠٠٠٠ يَعْنِي قَوْلَهُ: مِنْهَا زَوْجَهَا قَالَ: خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ فَجَعَلَ نَهْمَتُهَا فِي الرَّجُلِ، وَخُلِقَ الرَّجُلُ مِنَ الأَرْضِ فَجَعَلَ نَهْمَتَهُ فِي الأَرْضِ فَاحْبِسُوا نِسَاءَكُمْ.} (٢٠)٠ وقال الله تعالى:﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا(٢٠) ﴾[النساء] فأراد ب(زَوْجٍ) المرأة المؤمنة المطلقة التي طلقها زوجها المؤمن { وإن أردتم، أيها المؤمنون، نكاح امرأة مكان امرأة لكم تطلقونها وآتيتم إحداهن»، يقول: وقد أعطيتم التي تريدون طلاقها من المهر «قنطارًا».} (٢١) فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئًا وإن كثُر المال أو قَلَّ . وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي

نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) ﴾ [الأحزاب] أراد الله تعالى ب[زَوْجَكَ] السيدة زينب بنت جحش -رضي الله تعالى عنها- زوج زيد -رضي الله تعالى عنه- ربيب النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- فأخبره الله سبحانه أنَّ زيدًا سيُطلِّقُها ثم تتزوجها أنت يا رسول الله لكنه -عليه الصلاة والسلام- كتم ذلك الأمر خوفًا من ثرثرة المنافقين والجهلة لكنَّ مرضاة الله أحق وأولى من مرضاتهم﴿ وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ وبعد أنَّ طلَّقها زيد -رضي الله تعالى عنه- أصبحت زوجًا للنَّبيّ -صلى الله عليه وآله وسلم- بأمر الله سبحانه (٢٢) .

وهذه الآيات الستة التي تقدم ذكرها قد تضمنت لفظة {زوج} التي أُطلقت على الرجل-الزوج المؤمن- و المرأةِ -الزوجة المؤمنة- من جنس الإنس.

في هذه الآيات كلِّها التي ذكرناها قد وردت لفظة (زوج) بصيغة المفرد ،وكما تعلم أنَّ زوج يجمع جمع تكسير على وزن [أفعال] (أزواج) بينما لفظة (زوجة) تجمع على (زوجات) جمع مؤنث سالم ،لكن القرآن الكريم استعمل أيضًا صيغة (أزواج) ويعني به الزوجات المؤمنات وعدل عن صيغة (زوجات) في كل القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى:

١-﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) ﴾[التوبة]

٢- ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[الرعد]

٣-﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى

بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا(٦) ﴾[الأحزاب]

٤-﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾[الأحزاب]

٥-﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩) ﴾[الأحزاب]

٦-﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ(٥٦) ﴾[يس] فسَّر الفرَّاء البغوي {هُمْ وَأَزْواجُهُمْ، أَيْ حَلَائِلُهُمْ، فِي ظِلالٍ، قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ (٢٣) ظُلَلٍ بِضَمِّ الظَّاءِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ، جَمْعُ ظُلَّةٍ، وَقَرَأَ الْعَامَّةُ فِي ظِلَالٍ بِالْأَلِفِ وَكَسْرِ الظَّاءِ عَلَى جَمْعِ ظِلٍّ، عَلَى الْأَرائِكِ، يَعْنِي السُّرَرَ فِي الْحِجَالِ وَاحِدَتُهَا أَرِيكَةٌ. قَالَ ثَعْلَبٌ: لَا تَكُونُ أَرِيكَةً حَتَّى يكون عليها حجلة. مُتَّكِؤُنَ، ذَوُو اتِّكَاءٍ}(٢٤)

٧-﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) ﴾[الزخرف]

عندما تتبعت تفسير هذه الآيات أعلاه في كتب التفسير وجدت أنَّ كلمة (أزواج) قد أُطلقت على زوجات النبي -عليه الصلاة والسلام- وزوجات المؤمنين في الدنيا والآخرة.

كذلك جاءت لفظة {زوج} في أربع آيات أخرى من القرآن الكريم يراد بها الزوج الذكر من النبات وأنثاه ،نحو قوله تعالى :

١-﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾[الحج/ ٥].

٢-﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) ﴾ [الشعراء].

٣-﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) ﴾[لقمان].

٤-﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) ﴾[ق].

وجاءت لفظة {أزواج} في آيتين من القرآن الكريم يراد بها الزوج الذكر الحيوان وأنثاه ،نحو قوله تعالى :﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) ﴾[الأنعام] ،

وقوله تعالى:﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦) ﴾[الزمر] المراد ب{ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ } يعني: ثمانية أصناف ،فكل صنف زوج : ذكر الإبل زوج وأنثاه زوج ومثله زوجان ذكر ،وأنثى من البقر والضَّأْن والمَعْز(٢٥) وذكر لنا ابن أبي حاتم { ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ... وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ يَقُولُ: أَنْزَلْتُ لَكُمْ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنْ هَذَا الَّذِي عَدَدْتُ ذَكَرًا وَأُنْثَى.}(٢٦) .

إنَّ الله سبحانه أطلق على ذكر النباتات والحيوانات وأنثاهم لفظة (زوج) وأريد به التناسب والتشابه المادي في الخلقة والتصرف بالفطرة التي خلقهُنَّ الله تعالى عليها فترى أنَّ الأزواج الثمانية من الحيوانات اللاتي ذُكِرْنَ في الآيتين أعلاه وغيرها من أزواج النباتات وكل شيء في هذا الكون الفسيح العظيم يسبِّحون لله سبحانه إلَّا الجاحد والكافر من الإنس والجِنِّ فهم معرضون عن ذكر ربِّهم عزَّ وجلَّ وهذا التسبيح خاصّ بالحيوانات

والنباتات والجمادات لا نفقهه نحن بنو البشر ؛ فقال الله تعالى :﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾[الإسراءو﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) ﴾[النور] ، ولكن من الأنبياء -عليهم السلام-من يفقه ذلك ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) ﴾[النمل]،و عُلِّمْنَا { يعني: أفهمنا وألهمنا منطق الطير، وذلك أن سليمان كان جالساً في أصحابه إذ مرّ بهم طير يصوت، فقال لجلسائه: أتدرون ماذا يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: ليت الخلق لم يخلقوا، فإذا خلقوا علموا لماذا خلقوا قال: وصاح عنده ديك فقال: هل تدرون ماذا يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول اذكروا الله يا غافلون..}(٢٧) .

بينما تجد التشابه والتناسب والتوافق بين أزواج الإنس المؤمنين معنويًّا وماديًّا -ا لتشابه في الخِلْقَة -عدد الأعضاء وتركيبة الجسد ولون البشرة وغيرها-والأخلاق-العادات والتقاليد والسلوك العام- لذا حصل التوافق بينهما في الاسم -مصطلح الأزواج .

ما علة إطلاق مصطلح [زوج] على ذكر وأنثى الإنسان والجن والحيوان والنبات ؟

إنَّ الله سبحانه قد أطلق كلمة {زوج} على الرجل المؤمن وامرأته المؤمنة التي تزوجها وكانا طاهرين مؤمنين ينتفع بهما المجتمع بل هما اللبِنَات الأساسية الذين تبنى بهم الأسرة و المجتمع. وهذا النفع والفطرة السليمة موجودان عند أزواج النباتات والحيوانات أيضًا ؛لهذا السبب وغيره اشتركا في المصطلح [زوج]الذي يطلق على ذكر وأنثى الإنسان والجن والحيوان والنبات.

أما لفظة (امرأة) فقد أطلقت على الزوجة الصالحة المؤمنة والزوجة الطالحة الكافرة

لكن لم تطلق على المرأة المؤمنة التي زوجها مؤمن بل التي زوجها كافر كآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون كقوله تعالى:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾[التحريم]، { قال المفسرون: لمّا غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون فلمّا تبيّن إسلامها وثبتت عليها الإيمان أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس وأمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها، فلمّا أتوها بالصخرة إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وأبصرت بيتها في الجنّة من درّة، وانتزع الله روحها، فألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح، فلم تجد ألما من عذاب فرعون.

وقال الحسن وابن كيسان: رفع الله امرأة فرعون إلى الجنّة فهي فيها تأكل وتشرب.} ((٢٨)).

فأنجى الله تعالى المرأة المؤمنة الصالحة من زوجها الكافر الطاغية لعدم وجود التناسب والتشاكل (٢٩) والتشابه بينهما في المعنى من حيث الإيمان بالله تعالى وملائكته ورسله واليوم الآخر والأمر بالمعروف والعدل والإصلاح وحسن الخلق والنهي عن الشرك والمنكر والظلم بأنواعه وسوء الخُلُق؛{ فكما انقطعت الصلة بينهما في المعنى انقطعت في الإسم.}(٣٠).

والله سبحانه قطع المشابهة والمشاكلة بين الكفار والمؤمنين في مواضع عديدة من كتابه الكريم كقوله تعالى:﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) ﴾[الحشر] وإنَّ الله تعالى ميَّز بين مؤمن أهل الكتاب وكافرهم من جهة الحقوق والواجبات فهم ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ

فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥) ﴾[آل عمران] وقطع سبحانه المقارنة بينهما في أحكام الدنيا، فلا يتوارثان ولا يتناكحان، ولا يكون أحدهما على صاحبه وليًّا ولا ينبغي أن تكون بينهما مودَّة.

وتطلق لفظة [امرأة] على الكافرة التي زوجها مؤمن كامرأة نَبِيِّ الله نوح وامرأة نَبِيِّ الله لوط -عليهما السلام-﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[التحريم] لكنَّ الخيانة ليست الزنا بل الخروج عن دين الزوج فكانت زوجة نوح تشيع بين الناس أن زوجها مجنون فلا تصدقوه ، وتطلع على سرِّه فتشيعه بين الناس ،وتخبر الجبابرة من قومه عمن يؤمن به ،وأما امرأة لوط فكانت تخبر قومها عن أضياف لوط كي يفعلوا الفاحشة بهم فأدخلهما الله تعالى النار نكالاً بما فعلا (٣١) . ووجدت القرآن الكريم قد أطلق لفظة امرأة على الزوجة الكافرة والتي زوجها كافر أيضًا كزوجة أبي لهب ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥) ﴾[المسد].

وسميت الزوجة المؤمنة العاقر التي زوجها مؤمن أيضًا ب[المرأة] مثل زوجة سيدنا إبراهيم -عليه السلام -التي ضربت وجهها عجبًا عندما بَشَّرَت الملائكةُ زوجَها بإسحاق ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ(٣٠) ﴾[الذاريات]،ومثلها زوجة النبيِّ زكريا -عليه السلام- إذ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) ﴾[آل عمران] . لكن لِمَ لَمْ يُطْلَقْ مصطلحُ

[زوج] على المرأة المؤمنة وكان زوجها كافرًا أو المرأة الكافرة وكان زوجها مؤمنًا ؟

الجواب: أراد الله سبحانه أن يبيِّن أنَّ الزواج تام إذا كان كلا الزوجين مؤمنين وأما إذا كان أحدهما ليس مؤمنًا فالزواج غير تام ناقص ؛لقوله تعالى :﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ (٢٢١) ﴾[البقرة] لا يجوز نكاح المشركة الوثنية التي تعبد الأوثان من دون الله سبحانه والمجوسية ولكن يجوز نكاح نساء أهل الكتاب ؛لأنَّ هذه الآية نُسِخَ جزءٌ منها (٣٢) بقوله تعالى:﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥) ﴾[المائدة]. ولا يَحِلُّ أيضًا نكاح المشرك من المؤمنة لِمَا للرجل من سطوة ونفوذ على المرأة التي هي ضعيفة بخلقتها ورقيقة بطبعها ويستطيع تغيير عقيدتها فتصبح مرتدة عن دينها وجزاؤها القتل في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ؛لذلك نهى الله تعالى عن تزويج المؤمنة مِمَّن كان مشركًا وثنيًّا ،أو مشركًا مِن أهل الكتاب الذين يعتقدون أنَّ عزيرًا بن الله كاليهود ،وأنَّ عيسى بن الله كالنصارى ،وكل من هو ليس على ملة الإسلام (٣٣)؛ لقوله تعالى :﴿ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) ﴾[البقرة].

وهذا الحكم لا ينطبق على زواج النبي نوح والنبي لوط –عليهما السلام– من امرأتيهما ؛ فحاشاهما من النقص لكن ما حصل من خيانة من امرأتيهما وزيغ عن الصراط السويّ صرط الإيمان كان بعد الزواج فلما زاغا أزاغ الله تعالى قلوبهما .

أَمَّا عدم إطلاق صفة زوج على المرأة المؤمنة العاقر فيرجع إلى أنَّ ثمرة الزواج لم تتحقق

أَلَا وهي الإنجاب ؛فهي كالشجرة التي لا تثمر ،وأوصى الرسول الكريم -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- بالزواج من المرأة الودود الولود { تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ الْأَنْبِيَاءَ بِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَة }(٣٤) ؛فالزواج من العاقر بحكم الزواج الناقص أيضًا، لكن النقص حصل بعد الزواج أمَّا في بدايته فكان تامًا ؛ لأنَّ أمر المرأة الولود والعاقر لا يتبين إلَّا بعد الزواج -والله تعالى أعلم .

وجاءت لفظة (أزواج) بمعنى الأصناف المتشابهة في العمل والمصير ، أي: يكون المصير تبعًا لعمل الشخص فإن كان من أهل الخير ؛ فيحشر مع أزواجه المشابهين له من أهل الخير في الجنَّة وإن كان من أهل الشَّر ؛ فيحشر مع أزواجه المشابهين له من أهل الشَّر في النار ؛ لأنَّ الجزاء من صنف العمل ؛ لقوله تعالى:﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) ﴾[الصافات]عمَّا كانوا يعملون ،وسوف يسألون عن كل صغيرة وكبيرة فعلوها في السر والعلن سيجدون ذلك في الكتاب مسطورًا إنَّ ربِّي لا يضل ولا ينسى ،وفسر ابن أبي زمنين (وأزواجَهم) بقوله :{[احشروا] أَي: سوقوا {الَّذين ظلمُوا} أشركوا {وَأَزْوَاجَهُمْ} قَالَ الْحَسَنُ: يَعْنِي: الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ دَعَوْا إِلَى عبَادَة الْأَوْثَان.قَالَ محمدٌ: تَقُولُ الْعَرَب: زوّجْتُ إبلي إِذا قرنت وَاحِدًا بآخر.}(٣٥) . وقال تعالى :﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) ﴾[التكوير] ؛فجاء التزويج بين الأزواج -أي:الأرواح- بصيغة الفعل [زُوِّجَتْ] فيجمع الزوج المؤمن بشبيهه الزوج المؤمن ،ويلحق الزوج الكافر بالكافر من الأرواح ، والمنافق بالمنافق ،والمشرك بالمشرك ،وتلحلق كل شيعة بشيعتها من اليهود ، والنصارى ،والمجوس والذين أشركوا (٣٦).

المبحث الخامس : صيغ جمع الكلمة تناسب معاني سياق النص

قال الله تعالى:﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) ﴾[البقرة]٠

قال الله تعالى:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) ﴾[آل عمران].

ألم تنظر إلى الآية الأولى أنَّ كلمة {مَعْدُودَةً} جاءت مفردة وفي الآية الثانية {مَعْدُودَاتٍ} جاءت بصيغة جمع المؤنث السالم ما علة ذلك؟

الجواب:إنَّ الأيام المعدودة أو المعدودات التي قالت بها اليهود هي سبعة أيام من العذاب يقضونها في النار ؛لأنَّهم يزعمون أنَّ عمر الدُّنْيَا سَبْعَةُ آلَافِ سَنَةٍ وَإِنَّمَا الْعَذَابُ مَكَانَ كُلِّ أَلْفٍ يَوْمٌ. وأما القول الآخر:هو أنَّ اليهود قالوا: لن نُعذَّب في النار إلا تلك الأربعين ليلة التي عبدنا فيها العجل (٣٧). وهم يظنون أنَّ مكوثهم في النار هذه المدة سبعة أيَّام أو أربعين يومًا مدةكافية من وجهة نظرهم على جرائمهم التي ارتكبوها مهما كان نوعها وحجمها كالشرك بالله تعالى ،وقتل الأنبياء،-عليهم السلام- وقتل الذين يأمرون الناس بالمعروف وينهونهم عن المنكر،وتكذيبهم للرسل -عليهم السلام- وافترائهم على الله سبحانه،وارتكابهم الكبائر وهؤلاء -البهود-قد استخفوا بوعيد الله تعالى ،وأمِنُوا عقابه ،وما قدروا الله تعالى حق قدره ،ولم يعرفوا الإيمان حق المعرفة ،ولن تنال قلوبهم التقوى يقينًا وإلا لَمَّا تحدثوا بذلك أبدًا. وهذا الظن السيئ ظهر وفشا في اليهود ثم النصارى ثم المسلمين وهؤلاء يعتقدون أنَّ الشفاعات والكفَّارات والنذور والتوحيد وغيرها ستنجيهم من العذاب الأليم يوم القيامة مهما فعلوا من الذنوب والمعاصي فلن يخلدوا في النار إلَّا مدة محدودة ثم يخرجون منها ويدخلون الجنة (٣٨)؛

فطلب الله تعالى منهم الحجة ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة/ ٨٠] وبما أنهم كاذبون لا حجة لديهم فبشرهم الله تعالى بالنار ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) ﴾[البقرة] . هذا ما قال به علماء التفسير-ولهم أقوال أخرى فيها-(٣٩) .

لكنهم لم يذكروا لنا علة مجيء الكلمة مرة بصيغة المفرد [معدودة] وأخرى بصيغة الجمع [معدودات] على الرغم من أنَّ موضوع القصة نفسَه في الموضعين من القرآن الكريم ،وأيَّام التعذيب لم تزد ولم تنقص في الموضعين أيضًا ولكن الذي اختلف هو سياق تركيب النص في الموضعين و {المراد- بالأيام المعدودات- أيام عبادتهم العجل، وجاء هنا مَعْدُوداتٍ بصيغة الجمع دون ما في البقرة فإنه مَعْدُودَةً [البقرة:٨٠] بصيغة المفرد تفننا في التعبير، وذلك لأن جمع التكسير لغير العاقل يجوز أن يعامل معاملة الواحدة المؤنثة تارة ومعاملة جمع الإناث أخرى فيقال: هذه جبال راسية، وإن شئت قلت راسيات، وجمال ماشية وإن شئت ماشيات، وخص الجمع هنا لما فيه من الدلالة على القلة كموصوفة وذلك أليق بمقام التعجيب والتشنيع }(٤٠).ونرى أنَّ لفظ [معدودة] مفرد وهو اسم مفعول مشتق من الفعل [عدَّ] المضعف على وزن [مفعول] والتاء للتأنيث واستعملت في العربية توصف بها الأشياء القليلة المحسوسة التي يمكن عدَّها بالبصر واليد،نحو قوله تعالى:﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[يوسف] {والوصف بمَعْدُودَةٍ مُؤْذِنٌ بِالْقِلَّةِ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَعْدُودِ الَّذِي يَعُدُّهُ النَّاسُ إِذَا رَأَوْهُ أَوْ تَحَدَّثُوا عَنْهُ، وَقَدْ شَاعَ فِي الْعُرْفِ وَالْعَوَائِدِ أَنَّ النَّاسَ لَا يَعْمِدُونَ إِلَى عَدِّ الْأَشْيَاءِ الْكَثِيرَةِ دَفْعًا لِلْمَلَلِ أَوْ لِأَجْلِ الشُّغْلِ سَوَاءٌ عَرَفُوا الْحِسَابَ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوهُ لِأَنَّ الْمُرَادَ الْعَدُّ بِالْعَيْنِ وَاللِّسَانِ لَا الْعَدُّ بِجَمْعِ الْحِسَابَاتِ إِذْ لَيْسَ مَقْصُودًا هُنَا.

وَتَأْنِيثُ (مَعْدُودَةً) وَهُوَ صِفَةُ (أَيَّامًا) مُرَاعًى فِيهِ تَأْوِيلُ الْجَمْعِ بِالْجَمَاعَةِ وَهِيَ طَرِيقَةٌ عَرَبِيَّةٌ مَشْهُورَةٌ وَلِذَلِكَ كَثُرَ فِي صِفَةِ الْجَمْعِ إِذَا أَنَّثُوهَا أَنْ يَأْتُوا بِهَا بِصِيغَةِ الْإِفْرَادِ إِلَّا إِذَا أَرَادُوا تَأْوِيلَ الْجَمْعِ بِالْجَمَاعَاتِ، وَسَيَأْتِي ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ [الْبَقَرَة:٤ ١٨].}

(٤١)وهي عكس الأشياء الكثيرة التي لا يمكن عدّها.ومن علماء البيان من زعم أنَّ [معدودة] جمع كثرة بقوله : [معدودات جمع قلّة وهي تفيد القلّة أما معدودة فهي جمع كثرة وهي أكثر من معدودات](٤٢) .

والغريب أنَّ مثل هذا الكلام يوافق ما قال به أَحَدُ رجالِ الدين النصارى- أَو مجموعة من رجالِ الدين النصارى -الذي زَعَمَ فيه أَنَّ القرآنَ ليس معصوماً من الأَخطاءِ، بل يتضمن مجموعة من الأَخْطاءِ، تُعَدُّ بالعَشَرات، في مختلفِ المجالات، وشَتّى الموضوعات. وهذا الكتابُ هو: « هل القرآنُ معصوم؟ « ونُسِب إِلى رجلِ دينٍ نصرانيّ، هو « عبد الله الفادي».ويَبدو أَنَّ هذا الاسْمَ مستعار.وصَدَرَ الكتابُ عن مؤسسةٍ تنصيرية في النمسا، اسْمُها [ضوءُ الحياة]، وظهرتْ طبعَتُه الأُولى عام (١٩٩٤م) ، وتوزِّعُه هيئاتُ ومراكزُ التبشيرِ النصرانية، ودَعَتْ مؤسسةُ « ضوءِ الحياة « إِلى مراسلتِها، لإرسالِ الكتابِ لمن يَطلبونَه، كما أَنها أَنْزَلَتْه على « الإنترنت «. وزعم هذا الراهب النصراني المدعو (عبد الله الفادي) أَنَّ القرآن الكريم تضمن أخطاء كثيرة منها :أَنَّه خَطَّأَ {الإتيانَ بجمعِ الكثرةِ بَدَل جمعِ القِلَّة، في قولِ الله - عز وجل -: (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً) .قالَ في اعتراضِه على الآية: « وكانَ يَجبُ أَنْ يَجْمَعَها جمعَ قِلَّة ؟

لأَنَّهم أَرادوا القِلَّة، فيقول: أَياماً معدودات .

يَرى الفادي أَنَ « معدودات « جمعُ قِلَّة، وأَنَ (مَعْدُودَةً) جمعُ كثرة!....بناءً على تَفريقِ الفادي الجاهلِ بينَ (مَعْدُودَةً) و (مَعْدُودَاتٍ) على أَنَّ(مَعْدُودَةً) جمعُ كَثْرَة، و (مَعْدُودَاتٍ) جمعُ قِلَّة، تابَعَ اعتراضه على القرآن،

فأَثارَ سُؤالَه السابعَ عَشَرَ بعد المئة، وجَعَلَه تابعاً لسؤاله السابق، الذي ناقَشْناهُ فيه.

قال: « جاء في سورة البقرة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ) ، وكانَ يَجِبُ أَنْ يَجمعَها جمعَ كَثْرَة، حيثُ إِنَّ المرادَ جمعُ كثرةٍ عِدَّتُه ثَلاثون يوماً، فيقول: أَياماً معدودةً «.ومعنى اعتراضه أَنَّ شَهْرَ رمضانَ الواجبَ صيامُه ثلاثون يوماً، وهي أَيامٌ كثيرة، فمن غيرِ المناسبِ أَنْ توصَفَ أَيّامُهُ بجمعِ القِلَّة (مَعْدُودَاتٍ) ، وإِنما

توصَفُ بجمْعِ الكثرةِ: (مَعْدُودَةً) .

وعلى هذا يكونُ القرآنُ – في نظرِ الفادي – قد أَخْطَأَ، عندما قال عن

أَيام رمضان: (أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ) ، وكان الواجبُ أَنْ يَقول: أَياماً معدودة!!.}(٤٣)

لكن نردُّ على ما ذهب إليه الفادي والدكتور فاضل صالح السامرائي معًا أَنَّه لا يوجد البتة في علم التصريف جمع تكسير على وزن [مفعولة](١٠٢) بينما نجد أَنَّ[معدودات] التي هي جمع مؤنث سالم ل[معدودة] يوصف بها القليل والكثير ؛لأَنَّ جمع المؤنث السالم كما يطلق على القليل ،نحو قوله تعالى:﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾[البقرة/ ٢٠٣] وهذه { الأيام المعدودات أَيَّام التَّشْرِيق، وَهِي ثلاثة أَيَّام بعد يوم النحر] (٤٤)،فهو يطلق أيضًا على الكثير مثل قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) ﴾[البقرة] التي هي أَيَّام شهر رمضان التي عددها ثلاثون يومًا – هذا رأي جمهور المفسرين .

ونستعمل ذلك في كلامنا :[شاهدْتُ مدرساتِ اللغةِ العربيةِ في إعداديتِنا] ،وهُنَّ

ثلاث أو أربع ، ونقول:[حضر المؤتمرَ معلماتُ العراقِ اليومَ] وهُنَّ أُلوف، و [وَقَدْ يَجُوزُ أَن تَقَعَ الأَلف وَالتَّاءُ لِلتَّكْثِيرِ. والعِدُّ: الكَثْرَةُ. يُقَالُ: إِنهم لَذُو عِدٍّ وقِبْصٍ.](٤٥) .

بعد أن سلَّمنا أن لفظتي [معدودة]و[معدودات] تستعملان للقلة والكثرة ، لكن لابد من أنَّ إحداهما:تستعمل للقلة ،والأخرى:تستعمل للكثرة، والضابط في ذلك هو سياق النص الذي وردت فيه اللفظة وسمت الأحداث لكل نص منهم.

وسياق النص الذي وردت فيه [معدودة] يدور الكلام فيه عن الكذب الذي استطاع اليهود من خلاله تحريف كلام الله تعالى ،ويكتبون الكتاب بأيديهم ثم ينسبونه إلى الله سبحانه ،ونافقوا في دينهم ، وضلَّلَ علماؤُهم وأحبارُهم عوامَ الناس الجهلة الأُميِّين- من اليهود- الذين خُدِعوا بهم فاتبعوهم وصدَّقُوا ما قالوا إنَّهم لن يعذبوا في النار إلا أربعين يومًا بقدر زمن عبادتهم العجل ثم يدخلوا الجنة فرد الله تعالى على زعمهم الكاذب هذا بقوله:﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) ﴾[البقرة] . لكن لو نظرنا في سياق النص الذي وردت فيه كلمة [معدودات] لوجدناه يتضمن مايأتي:

١_الدعوة إلى وحدانية الله سبحانه،والدخول في دين الإسلام ؛لقوله تعالى:﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠) ﴾[آل عمران]

٢-توعدهم الله تعالى بالعذاب الأليم ؛لأنهم ارتكبوا جرائم عظيمة﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢) ﴾[آلعمران]

٣-ذكَّرهم الله تعالى بيوم الحساب وأن الله تعالى بيده الملك وأن النصر لمحمد -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- ودينه دين الحق الإسلام ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥) قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) ﴾[آل عمران].

٤-ذكرهم الله تعالى بقدرته على البعث والنشور والموت والحياة وونعمة الرزق ،ثم نهاهم عن اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨) ﴾[آل عمران].

ثم ذكرهم الله تعالى بأنَّ الذي دعاهم للافتراء عليه سبحانه هو الجهل والغرور ،والتكبر على الحق الذي جاء به محمد -صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم- واتباعهم لأوليائهم الشياطين من الإنس (٤٦) ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) ﴾[آل عمران].

انظر كيف جاءت صيغة جمع التأنيث (معدودات) التي تدل على الكثرة أحيانًا تناسب المعاني الكثيرة التي تضمنها النص الذي وردت فيه٠ أمَّا صيغة (معدودة) التي تدل على القلة غالبًا كانت توائم المعاني القليلة في نص سورة البقرة التي وردت فيه ٠فترى أنَّ صيغ الكلمة جاءت لتعبر عن المعاني بحسب متطلبات ومقتضيات النص وسمت الأحداث التي تحيط به فأتت الصيغة بما يناسب حجم المعاني والأحداث ووفق

مقياس دقيق يعجز الجن والإنس وغيرهم عن الظفر به ٠

وهذا ما ذهب إليه الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في ردِّه على الفادي بقوله: {وهذا الكلامُ باطل، فالصّيغَتان جمعُ قِلَّة.

لكنَّ (مَعْدُودَةً) تدلُّ على عددٍ أَقَلَّ من « معدودات «.

فإذا أَريدَ العددُ الأَقَلُّ ذُكِرَتْ صيغةُ (مَعْدُودَةً) ، وإذا أُريدَ العددُ الأَكثرُ ذُكِرَتْ صيغةُ « معدودات»وهذا عكسُ ما قالَه الفادي الجاهلُ باللغةِ العربية.}(٤٧).

المبحث السادس: سر البيان في تقديم (هارون) على (موسى) في سورة طه

قال الله تعالى :﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) ﴾ [طه] .

وقال الله تعالى :﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨) ﴾[الشعراء].

وقال الله تعالى :﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢) ﴾[الأعراف].

السؤال: لِمَ قُدِّم هارونُ على موسى -عليهما السلام- في سورة طه في حين أُخِّر هارون وقدم موسى -عليهما السلام- في سورتي الشعراء والأعراف ؟

الجواب: إنَّ حقَّ موسى -عليه السلام- التقديم على أخيه هارون -عليه السلام- لأنَّ الله تعالى خصَّه بالنبوة والرسالة قبل هارون -عليه السلام- بل بسببه نال هارون النبوة وأشْرَكه في أمر الدعوة إلى الله تعالى إذ سأل ربَّه ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي

وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (٣٦) ﴾[طه]. وعندما أمره الله تعالى بدعوة فرعون إلى الإيمان بالله سبحانه فقال له :﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤) ﴾[طه] وجَّه الأمر إليه وحده وكان في فلسطين وهارون في مصر فاتصل به وبلَّغه أمر ربِّه بالذهاب إلى فرعون فوافقه على هذا الأمر فذهبا إليه. لكنَّ التقديم كان؛ لأسباب أهمها :

١ – لصرف الأنظار عن موسى إلى هارون ليكون هارون هو موضع الاهتمام والعناية لدى فرعون ووزرائه وقادته وجنده كي يبعدوا عن موسى أذى فرعون وبطشه أوخوفًا عليه من القتل والتعذيب ؛ لِمَا عرفوه مِن ظُلْم فرعون وجَوْره بحق البلاد والعباد، وبعدما تيقنوا من دين الحق الذي جاء به موسى –عليه السلام– فأصبحوا يخشون عليه من غضب فرعون وطغيانه؛ لأنَّ هذا الموقف – سجود السحرة– يُعَدُّ إهانة له وأمرًا مفزعًا ومخزيًا ومخيفًا يثير حفيظة فرعون ولأنَّهم –السحرة– أقوى حجة لديه على النبي موسى –عليه السلام– أمام الناس جميعًا وكان عددهم كما يُرْوَى عن ابن عباس: كانوا اثنين وسبعين ساحرا ، وقيل: كانوا أربعمائة (٤٨) ،وقيل: جمع فرعون سبعين ألف ساحر مع عصيِّهم وحبالهم (٤٩) . فالمنازلة بهذا الحجم كانت كبيرة ولأمر عظيم . ولم يكن مع موسى مَن يؤازره إلا الله تعالى والملائكة { وقال بعض أهل الحقائق: إن كَانَ السَّبَبُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا الْتَقَى بِالسَّحَرَةِ وَقَالَ لَهُمْ: ﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ﴾[طه:١١] الْتَفَتَ فَإِذَا جِبْرِيلُ عَلَى يَمِينِهِ فَقَالَ لَهُ يَا مُوسَى تَرَفَّقْ بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ. فَقَالَ مُوسَى: يَا جِبْرِيلُ هَؤُلَاءِ سَحَرَةٌ جَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ لِيُبْطِلُوا الْمُعْجِزَةَ، وَيَنْصُرُوا دِينَ فِرْعَوْنَ، وَيَرُدُّوا دِينَ اللَّهِ، تَقُولُ: ترفق بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ! فَقَالَ جِبْرِيلُ: هُمْ مِنَ السَّاعَةِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عِنْدَكَ، وَبَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي الْجَنَّةِ. فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ، أَوْجَسَ

فِي نَفْسِ مُوسَى وَخَطَرَ أَنَّ مَا يُدْرِينِي مَا عِلْمُ اللَّهِ فِيَّ، فَلَعَلِّي أَكُونُ الْآنَ فِي حَالَةٍ، وَعِلْمُ اللَّهِ فِيَّ عَلَى خِلَافِهَا كَمَا كَانَ هَؤُلَاءِ. فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ مَا فِي قَلْبِهِ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾[طه:١٨] أَيِ الْغَالِبُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَفِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَا فِي الْجَنَّةِ، لِلنُّبُوَّةِ وَالِاصْطِفَاءِ الَّذِي آتَاكَ اللَّهُ بِهِ.}(٥٠).

وهذا التغير المفاجئ في موقف السحرة اتجاه موسى وهارون -عليهما السلام- ودينهم الجديد الذي جاؤوا به حصل بعد ما أيقنوا أنَّ موسى مؤيَّد من الله تعالى وإلَّا كيف استطاعت عصاه أن تلقف أطنان من عصيهم وحبالهم وآلاتهم التي أتوا بها والتي تقدر بحمل ثلاثمائة بعير دون أن يتغير شكل العصا أو حجمها فعندما رأى ذلك رئيسهم { قال: كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فأين ما ألقينا فاستدل بتغير أحوال الأجسام على الصانع القدير العليم وبظهور ذلك على يد موسى عليه السلام على صحة رسالته. وكأن هاتيك الحبال والعصي صارت هباء منبثا وانعدامها بالكلية ممكن عندنا، وفي التعبير بألقى دون فسجد إشارة إلى أنهم شاهدوا ما أزعجهم فلم يتمالكوا حتى وقعوا على وجوههم ساجدين، وفيه إيقاظ السامع لإلطاف الله تعالى في نقله من شاء من عباده من غاية الكفر والعناد إلى نهاية الإيمان والسداد مع ما فيه من المشاكلة والتناسب،}(٥١) انظر كيف يغير الله سبحانه الأحوال في لحظات أو طرفة عين لا تحقرنَّ امرأً لمعصيته فإنَّ الخاتمة مبهمة وإلَّا هؤلاء السحرة لم يبق بينهم وبين النار إلا ذراع قسبق عليهم القول ففعلوا فعلا يستحقون به رضوان الله تعالى ف{سبحان الله ما أعجب أمرهم. قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين! وروى أنهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها. وعن عكرمة: لما خروا سجدا أراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة.}(٥٢) فآمنوا فقالوا قولتهم المشهورة

التي أفزعت فرعون الطاغية وجلاوزته والتي ذكرها الله عز وجلَّ في كتابه العزيز ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) ﴾[طه] فقبل الله تعالى إيمانهم وأدخلهم الجنة.

وهذا النصر المبين كاد أن يكون قاصمة الظهر لفرعون وملكه لولا بطشه وجبروته على أعدائه ؛لأنَّه كان يخشى من { اقتداء الناس بالسحرة في الإيمان لموسى عليه السلام ثم أقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال: فَلَأُقَطِّعَنَّ أي إذا كان الأمر كذلك فأقسم لأقطعن أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ أي اليد اليمنى والرجل اليسرى وعليه عامة المفسرين} (٥٣) بل كاد أن يبطش بموسى وهارون -عليهما السلام- لولا حفظ الله تعالى لهم ،لكن هذا النصر كان مقدمة لنصر عظيم إغراق فرعون وجلاوزته وجنده في اليم، ونجاة موسى وهارون -عليهما السلام- والذين آمنوا ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠) ﴾[البقرة]. هذا مصير الظالمين الخزي والعار في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى . وكذلك كان حقًّا على الله تعالى ينجي المؤمنين من أيدي الكفار والمجرمين وينصرهم نصرًا عزيزًا . وفي ذلك عبرة لأولي الأبصار.

٢-واستغل هؤلاء السحرة التائبون المؤمنون مسألة أخرى لقبول الناس الحاضرين هذا التقديم -تقديم هارون على موسى- هي أنَّ هارون أكبر من موسى سِنًّا (٥٤) وهذا المسوَّغ مقبول عرفًا ودينًا لدى المجتمع.

٣-بدأت سورة [طه] بالحروف المقطعة [طاء ، هاء] وهذه البداية إيذان بتقديم هارون على موسى -عليهما السلام. لكن سورة [الشعراء] بدأت بالحروف المقطعة [طسم] والسين والميم من حروف كلمة موسى وهذه البداية إيذان بتقديم موسى على هارون -عليهما السلام.

٤- مجريات سرد القصة في سورة [طه] وسمت الأحداث كانت تشير إشارة صريحة

بما لا يقبل الشك لأهلية هارون –عليه السلام – لهذا التقديم من خلال ثلاثة أمور :

أ- الأمر الأول هو خلافة هارون لموسى في قومه بني إسرائيل وعندما أضلهم السامريّ فجعلهم يعبدون العجل من دون الله تعالى فقام هارون بأعباء مسؤولية الوعظ والإرشاد والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطالبهم بالطاعة والانقياد ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩١) قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) ﴾[طه] ؛لذلك كلِّه كان هارون أحقَّ الناس بالتقديم على موسى من غيره لما يتطلبه الموقف الصعب المعقد آن ذاك ؛ لأنَّه أخوه ، ووزيره ؛وخليفته على قومه من بعده.

ب- والأمر الثاني كان هارون أكثر صبرًا من موسى لتحمله على ما فعله به موسى عند غضبه ولم يرد عليه على الرغم من أنه يكبره بالعمر ،وهوليس له ذنب بالذي حصل إذ ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤) ﴾[طه] .إنَّ هارون –عليه السلام – رجل صاحب حكمة وفطنة وبعد نظر فلو خرج وأتبع موسى ليخبره بما حصل لاتبعه المؤمنون الذين لم يعبدوا العجل وبقي الذين عبدوا العجل وعندها تحصل فتنة وفرقة وانشقاق بين بني إسرائيل ؛لذلك كان يعي هذا الأمر فلم يخرج .

ج- الأمر الثالث هو أنَّ موسى أقرَّ بضعفه وحاجته إلى هارون ؛لأنَّه أفصح منه لسانًا ،ولأمانته وإخلاصه وصدقه في الدعوة إلى الله تعالى فدعا ربه سبحانه فقال:﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى (٣٦) وَلَقَدْ مَنَنَّا

عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) ﴾[طه] وفصاحة اللسان أهم خصلة يتميز بها الداعية . وهذا الأمر مدعاة للتقديم .

٤- مع كل ما تقدم إنَّ تأخير موسى عليه السلام في هذه الآية جاء منسجمًا مع الفاصلة القرآنية والسجع القرآني لسورة [طه] كلها.

٥- أداة العطف التي استعملت في قوله تعالى :﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) ﴾[طه] هي الواو التي لا تفيد تعقيبًا كأداة العطف (ثُمَّ) ،ولا ترتيبًا كالفاء ، فالعطف بالواو لا يعني التفضيل والأهمية ،بل قد يكون الذي أُخِّر أهم من المقدم في الكلام ، نحو :

١- جاء المصلون والخطيب إلى المسجد .

٢- دخل إلى قاعة الدرس الطلاب والأستاذ.

٣- حضر زيد وعمرو وعلي الاحتفال .

فكِّر وأنعم النظر في المسوغات والأسباب التي دعت إلى هذا التقديم -تقديم هارون على موسى - في هذه السورة دون سواها من سور القرآن الكريم. وكيف جاء البناء اللغوي للسورة -سورة طه- كلها ،ونسج تراكيب نصوصها وبيان معانيها مناسبًا لمعاني التقديم والهدف الأمني الكبير الذي كان السحرة يطمحون لتحقيقه من وراء ذلك . وكيف كانت عوامل النص من حيث البناء القصصي ،والأسلوب الرائع في ترتيب وقائع الأحداث ،والإعجاز البياني في سردها ،والتركيب النحوي لعباراتها وجملها وكيف أتت الفاصلة القرآنية للآي والإيقاع الموسيقي البديع للأصوات التي نُسِجتْ منها ألفاظ السورة توائم تقديم هارون على موسى -عليهما السلام- معنًى ولفظًا، بل كانت كل هذه العوامل مجتمعة ومتحدة و متوافقة مع الغرض المنشود من وراء التقديم ومعانيه

الأصيلة النبيلة .

فاقرأ وتدبَّر آيات القرآن العظيم ستدرك ببصيرتك الثاقبة ،وبقلبك السليم من الشرك والأحقاد ،وعقلك المستنير بنور الإيمان حجم الإعجاز في هذا القرآن العظيم.

وأما ما ذهب إليه أبو فخر الرازي(٥٥) ،وإسماعيل أبو الفداء (٥٦) من أنَّ تقديم هارون على موسى –عليهما السلام – كي لا يظن أنَّ رب موسى هو فرعون ؛لأنَّه ربَّاه في بيته لقوله تعالى :﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) ﴾[الشعراء]. هذا الرأي ليس بالصواب ؛لأنَّ موسى –عليه السلام – كان الرجل الوحيد الذي لم يستعبده ؛لكونه اتخذه ولدًا له حتى عرف بين الناس أنّه ابن فرعون في حين استعبد قومه بني اسرآئيل جميعًا بما فيهم هارون – عليه السلام– وكان يسومهم سوء العذاب يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم فلو كان ذلك مسوغًا وسببًا للتقديم لكان الأولى أن يقدم موسى –عليه السلام– لأنه لم يَعبدْ فرعونَ ولم يتخذه إلهًا قط ، وعندما ذكَّر فرعونُ موسى بفضله﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) ﴾[الشعراء] فأجابه موسى –عليه السلام–:﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) ﴾[الشعراء]. وتلك نعمة تمنها جاءت بصيغة الاستفهام والاستفهام هنا يحتمل أن يكون تقريريًّا ،أي:نعم أنت ربيتني وأطعمتني واتخذتني ولدًا لك ولم تستعبدني كما استعبدت قومي بني إسرائيل إذ { هو إقرار قال: عدّها موسى نعمة منه عليه حيث ربّاه ولم يقتله كما قتل غلمان بني إسرائيل، ولم يستعبده كما استعبد وتركني فلم يستعبدني }(٥٧) وأنا الآن رسول رب العالمين إليك أطلب منك أن تؤمن بالله رب العالمين الذي خلقك وأنعم عليك بنعمة العافية والملك

والمال والجاه والسلطان و إن أنت آمنت بالله تعالى يمتعك بشبابك ما حييت ولا ينزع منك ملك مصر ويمنُّ عليك بنعمت المأكل والمشرب والمنكح حتى يأتيك الموت لكنَّه رفض كل ذلك ؛لأنَّه عند الله تعالى في أم الكتاب كافر فربط على قلبه فلا يؤمن(٥٨) -وأخبر الله العليم عبده موسى بذلك قبل أن يرسله إليه - ولكنَّ الله سبحانه ألقى عليه حجته فأرسل إليه رسولًا يدعوه للإيمان والتوحيد والعدل وإقامة شرع الله تعالى في البلاد ،وهذا من لطف الله سبحانه بعبده الكافر فكيف بلطف الله عز وجلَّ بعبده المؤمن !

وإن كان الاستفهام إنكاريًّا ،أي: أنكر عليه ذلك وكأنَّ لسان حاله يقول له : أية نعمة تتحدث عنها ؟! نعمة استعباد قومي بني إسرائيل تقتل أبناءهم وتستحيي نساءهم وجعلتهم عبيدًا وخدمًا لك ،وأنا ما كنت آتي في بيتك لتربيني لولا ظلمك وطغيانك وقتلك لكل وليد يولد في البلد من قومي وإلَّا كنت أتربى في حجر أمِّي . أهذه نعمتك التي أنعمت علي بها ؟

وفي كلا التفسيرين للاستفهام الوارد في الآية (٥٩) يكون حجة لموسى -عليه السلام - على أنه كان سيدًا في بيت فرعون وليس عبدًا .

أمَّا قوله في كتاب الله ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وليدًا ﴾ التربية هنا كانت بمعنى التنشئة والعناية والرعاية الأبوية في توفير المأكل والمشرب والملبس والمركب والملبس بدليل أنَّه اتخذه ولدًا له بعلم الناس جميعًا لذا قال الله تعالى لموسى﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) ﴾[طه] القول الليِّن كان حقَّ التربيَّة والأبوَّة .ولم تكن التربية هنا بمعنى العبودية والربوبية .

الخاتمة

الحمد لله العلي الأعظم ، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين محمد الأكرم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن والاهم إلى يوم الدي .

قد استطاع البحث أن يحقق بفضل الله تعالى النتائج الآتية :

١-استطعت أن أجيب عن أسئلة تشغل فكر قراء القرآن الكريم في مجال اللغة والبيان-كما في المبحث الخامس والسادس.

٢-بيان كمال لغة القرآن ردًّا على أعداء الله الذين يحاربون القرآن الكريم ويدَّعون أَنَّ القرآنَ ليس معصوماً من الأَخطاءِ، بل يتضمن مجموعة من الأَخْطاءِ، تُعَدُّ بالعَشَرات، في مختلفِ المجالات، وشَتّى الموضوعات.وهذا الكتابُ هو: « هل القرآنُ معصوم؟ « ونُسِب إِلى رجلِ دينٍ نصرانيّ، هو « عبد الله الفادي» -وكان الرد واضحًا في المبحث الخامس والثاني والثالث.

٣- الرد على بعض علماء البيان والتفسير في فهم نصوص كتاب الله العزيز -كان ذلك في المبحث الخامس.

٤- سعينا جاهدين لبيان قسم من مواطن الإعجاز اللغوي في هذه الآيات من القرآن الكريم المتمثلة بفنون التعبير القرآني وعلم المعاني وهذا ما قامت الدراسة من أجله.

٥- تناولنا مسائل في بيان القرآن الكريم لم نسبق إليها من قبل -بحدود علمنا ٠

نسأل الله تعالى الإخلاص في العمل ،والسداد في القول ،وقبول الصالحات ،وحسن التوكل عليه،وأن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح للعباد والبلاد إنَّه نعم المولى ونعم المجيب٠

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النَّبيِّ المصطفى وآله وصحبه أجمعين.

تم البحث بفضل الله تعالى في يوم الجمعة صباحًا ١/ جماد الأولى/ ١٤٣٦ الموافق ٢٠/ شباط/ ٢٠١٥

الهوامش:

١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن:١/ ١٨٣

٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:١/ ٢٣٤

٣- جامع البيان في تأويل القرآن:١/ ٥١٥٠

٤-بيان المعاني:٥/ ٤٥

٥-روح المعاني : ا/ ٢٦٦

٦-ينظر:الدر المصون : ٥/ ٢٧٥

٧- اللباب في علوم الكتاب ، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ):٩/ ٥١-٥٣٠

٨-روح المعاني :٤/ ٣٣٨-٣٣٩

٩- محاسن التأويل ، للمؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ):٥/ ٢٣

١٠- التفسير الحديث :٢/ ٣٦٧

١١-تفسير القرطبي :٧/ ١٧١

١٢-المصدر نفسه٠

١٣- اللباب في علوم الكتاب :٩/ ٥١-٥٣

١٤- تفسير الطبري :١/ ٥١٤

١٥- تفسير القيم:١/ ١٣٣

١٦-مسند أبي داود الطيالسي :١/ ١٧١

١٧- تفسير القيم:١/ ١٣٣

١٨-الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ») ،للمؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ): ٢/ ٧٢

١٩-لم أعثر على هذا البيت في ديوان الفرزدق ولا في ديوان غيره٠

٢٠- تفسير ابن أبي حاتم :٥/ ٨٦٢٨

٢١- تفسير الطبري/ ٨ج:١٢٨

٢٢-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،للمؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ):١٥/ ٣٥٥-٣٥٧.

٢٣- حجة القراءات، لأبي زرعة: ٦٠١

٢٤- تفسير البغوي : ٤/ ١٧

٢٥- بحر العلوم :١/ ١٧٨

٢٦- تفسير ابن أبي حاتم: ٥/ ١٤٠٢

٢٧-بحر العلوم :٢/ ٥٧٥-٥٧٦

٢٨- تفسير الثعلبي ٩/ ٣٥١

٢٩-التشاكل أو المشاكلة: تعني المناسبة ،والموائمة ،والتشابه في المعنى إما على سبيل الاتفاق ،أو التضاد، حسب ما توجبه قسمة الكلام ،أوهي:أن تذكر الشيء بلفظ غيره ؛لوقوعه في صحبته،ينظر: الموازنة للآمدي :١/ ٢٩٧،ومفتاح العلوم للسكاكي :١/ ٤٢٤.

٣٠- تفسير القيم :١/ ١٣٥

٣١- تفسير الثعلبي ٩/ ٣٥١

٣٢-تفسير الطبري:٤/ ٣٦٢- ٣٦٦وتفسير ابن أبي حاتم:٢/ ٣٩٧-٣٩٩

٣٣- المصدر نفسه٠

٣٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل:٢٠/ ٦٣ ،وسنن سعيد بن منصور، المؤلف: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧ه:١/ ١٦٤

٣٥- تفسير القرآن العزيز :٤/ ٥٨

٣٦- تفسير القرآن العزيز :٥/ ٩٩

٣٧-معاني القرآن للفرَّاء:١/ ٥٠

٣٨- تفسير المراغي:٣/ ١٢٨-١٢٩

٣٩- وينظر: تفسير مجاهد:١/ ٢٠٨ ، والتحرير والتنوير، لمحمد الطاهر التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ):١/ ٥٧٩-٥٨١

٤٠-روح المعاني:٢/ ١٠٧٠

٤١- التحرير والتنوير:١/ ٥٧٩-٥٨١

٤٢-أسرار البيان في التعبير القرآني، المؤلف: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي: ١/ ٧٢،ولمسات بيانية، المؤلف: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي

٤٣- القرآن ونقض مطاعن الرهبان للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: ١/ ٣٥٨-٣٥٩

٤٤- المحكم والمحيط الأعظم:١/ ٨٠

٤٥- لسان العرب:٢/ ٢٨٢

٤٦- التحرير والتنوير:١/ ٥٧٩- ٥٨١

٤٧- القرآن ونقض مطاعن الرهبان للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: ١/ ٣٥٨

٤٨-الكشف والبيان عن تفسير القرآن ،المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي،

أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ):٦/ ٢٤٩.

٤٩-المصدر نفسه :٦/ ٢٥٣.

٥٠-الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ):١١/ ٢٢٢-٢٢٣.

٥١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ): ٨/ ٥٤١.

٥٢-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) :٣/ ٧٥-٧٦

٥٣-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ): ٨/ ٥٤٢.

٥٤-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) :٣/ ٧٥-٧٦، و أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ):٤/ ٣٣،و البحر المحيط في التفسير ،المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ):٧/ ٣٥٨.

٥٥-مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ،المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ):٢٢/ ٧٦.

٥٦-روح البيان :٥/ ٤٠٥.

٥٧-الكشف والبيان عن تفسير القرآن:٧/ ١٦١.

٥٨-المصدر نفسه:٦/ ٢٤٣-٢٤٥.

٥٩-بحر العلوم ،المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ):٢/ ٥٠٢، و تفسير القرآن العظيم ،المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ):٦/ ١٣٨، وتفسير الجلالين ،المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ):٤٨١، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:٣/ ٣٠٦،و الكشف والبيان عن تفسير القرآن:٧/ ١٦١-١٦٢،و روح البيان :٦/ ٢٦٨ .

المصادر

القرآن الكريم .

١-إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لأحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ)،،المحقق: أنسمهرة،الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ.

٢-أسرار البيان في التعبير القرآني ،فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي

(هذه هي المحاضرة المفرغة، ونصها يختلف عن الكتاب المطبوع الذي يحمل نفس الاسم.

٣-إعراب القرآن الكريم، لأحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم،الناشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ ،

٤-إعراب القرآن وبيانه ،لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ)،الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)،الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ ه .

٥-أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .

٦- بحر العلوم،المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ.

٧- البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)،المحقق: صدقي محمد جميل ،الناشر: دار الفكر - بيروت ،الطبعة: ١٤٢٠ هـ .

٨-بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول] ،لعبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ).الناشر: مطبعة الترقي - دمشق ،الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م

٩-التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

١١-التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، دروزة محمد عزت ،الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ،الطبعة: ١٣٨٣ هـ .

١٢-تفسير الشعراوي - الخواطر ،المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) ،الناشر: مطابع أخبار اليوم ،عدد الأجزاء: ٢٠،(ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م) .

١٣-تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)،المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز،الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٤- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد

محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩

١٥-تفسير القرآن الكريم (ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان،الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت،الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ.

١٦-تفسير مجاهد،للمؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ) ،المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل،الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر،الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

١٧- تفسير المراغي ، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦

١٨-تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي،

راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستون الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٩-التفسير الوسيط للقرآن الكريم،المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة ،الطبعة: الأولى.

٢٠-الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ،المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ)،تحقيق :

أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة ،الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٢١-جامع البيان في تأويل القرآن ، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ،المحقق: أحمد محم الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٢٢- الحجة في القراءات السبع،المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)،المحقق: د. عبد العال سالم مكرم،الناشر: دار الشروق – بيروت،الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ.

٢٣- حجة القراءات ،المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)،محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني.

٢٤- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) ،المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط ،الناشر: دار القلم، دمشق .

٢٥-ديوان النابغة الذبياني،تم استيراده من نسخة : الشاملة ١١٠٠٠.

٢٦-روح البيان ، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)،الناشر: دار الفكر – بيروت.

٢٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)،المحقق: علي عبد الباري عطية ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

٢٨- الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ»)،لمؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن

المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المْروزي (المتوفى: ١٨١هـ)،المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،.

٢٩- سنن سعيد بن منصور ،المؤلف: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: الدار السلفية – الهند الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٢م .

٣٠-القرآن ونقض مطاعن الرهبان ، د صلاح عبد الفتاح الخالدي ،دار النشر: دار القلم – دمشق ،الطبعة الأولى: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

٣١-كتاب السبعة في القراءات ،المؤلف: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)،المحقق: شوقي ضيف،الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ .

٣٢-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ. ،الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣) وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى].

٣٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)،تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور،مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي،الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٤-اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤١٩

٣٥-لباب التأويل في معاني التنزيل ،علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) ،المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.

٣٦-لسان العرب ،محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ،الناشر: دار صادر – بيروت،الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٣٧-المحكم والمحيط الأعظم ،أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] ،المحقق: عبد الحميد هنداوي ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ه -٢٠٠٠م .

٣٨-محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ،المحقق: محمد باسل عيون السود ،الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت.

٣٩- مسند أبي داود الطيالسي ، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ) ،المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ،الناشر: دار هجر – مصر ،الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

٤٠-مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي،الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٤١- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) ،المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد

الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش ، لناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

٤٢–معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)،المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر،الطبعة: الأولى.

٤٣– معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، الناشر: عالم الكتب – بيروت،الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٤٤– مفتاح العلوم، لمؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م،عدد الأجزاء: ١.

٤٥–مفاتيح الغيب = التفسير الكبير،المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٤٦–الموازنة بين أبي تمام والبحتري، للآمدي ، تحقيق: السيد أحمد صفر ،دار المعارف –القاهرة.

٤٧–نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،للمؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)،الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.